الآباء المبجلون» عن عظمة الإنسان، ثم لم يتردد في وضعهم على قدم المساواة مع اليونانيين والرومان رغم ما واجهه من معارضة، على أساس أن كل «الحكمة قد تدفقت من الشرق إلى اليونانيين ومن اليونانيين إلينا».[٨] وكانت المعارضة لمثل ذلك الرأي تنبع من ترسبات العداء الأوروبي للعرب خاصة إبان الحروب الصليبية، ومن الموقف المتعصب إزاء غير المسيحيين بصفة عامة، ومن ضمنهم اليونانيين والرومان بوصفهم وثنيين. وقد اضطر المفكرون الإنسانيون حينئذٍ إلى الاعتذار للأمم غير المسيحية، خاصة ما كان منها غير أوروبي، بالإشارة إلى أن علماء ومفكري تلك الأمم وإن أعوزهم الإلهام الإلهي المباشر شأن المسيحيين، فإنه لم يعوزهم الإلهام من خلال الطبيعة. وهذا هو تماماً ما عبّر عنه سرفانتيس في اعتذاره لتقديم مؤلف عربي كسيدي حامد: «فكثيرون تمكنوا من خلال نور الطبيعة لا نور الإيمان أن يدركوا قصر واضطراب وجودنا هذا ...» (دون كيهوته ١١٨).

وإذا كان الرومانتيكيون هم الورثة الحقيقيين أو الامتداد الطبيعي للنزعة الإنسانية في فكر عصر النهضة من خلال تأليههم أو شبه تأليههم للإنسان والطبيعة، إذا كان «نور الطبيعة» يتحول - في رؤيتهم - إلى بديل، وليس مجرد منافس لـ «نور الإيمان»،[٩] فإن من البدهي ألاّ يجدوا أية غضاضة في أن يستعيدوا، على مستوى الرمز الشعري، ذلك الدور الذي قام به العرب في حفظ التراث البشري بوصفهم، كما عبر دي كوينسي في تعليقه على حلم وردزورث «رسل الصحراء»، أو كمجرد بشر تلهمهم الطبيعة.[١٠] والملاحظ أن بدوي وردزورث لا يظهر بوصفه مسلماً، وإنما بوصفه عربي فحسب. إنه «ساكن وديع في الصحراء، مجنون بالحب و الشعور» (المقدمة، الكتاب الخامس : ١٤٥-١٤٦). ومغزى هذا التجريد من الدين واضح في أنه يترك العربي واقفاً على

---

(٨) Ernest Cassirer et al, eds., *The Renaissance and the Philosophy of Man* (Chicago: U of Chicago P, 1948) 223-244.

(٩) من أهم الدراسات في هذا الموضوع كتاب م. هـ . آبرامز :

M.H. Abrams, *Natural Supernaturalism* (New York: W.W. Norton, 1971)

انظر إشارته إلى المسيرة العلمانية للفكر الأوروبي منذ عصر النهضة ص١٢-١٣.

(١٠) مقالة دي كوينسي منشورة في:

Jonathan Wordsworth et al eds., *The Perlude 1799, 1805, 1850* (New York: A Norton Critical Edition, W.W. Norton, 1979) 545-547.